ملخّص محاضرات وحدة التواصل الحضاري
بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء
في العصر الحديث
السنة أولى ماستر
تخصّص: الجزائر في العصر الحديث
أ. د عثماني أم الخير

3- **<u>المجهودات التعليميّة لعلماء تلمسان في إفريقيا جنوب الصحراء</u>**:

اشتهرت تلمسان بنشاطها التعليمي، فاشتهر علماؤها بالتدريس في مدارس السودان الغربي، ونذكر منهم: الشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي (ت840هـ/1434م) الذي ظهر في أواخر العهد الزِياني، هو محمّد بن عبد الكريم بن محمّد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد ....ينتهي نسبه إلى الحسن بن فاطمة الزهراء -رضيّ الله عنها- ولد في مدينة "مَغِيلة"(مَغيلة، قرية بربرية تقع بالقرب من تلمسان).

عاش في وقتٍ كانت تلمسان فيه تتخبّط في مشاكل وأحداث، وتقلبات سياسيّة خطيرة داخليًا وخارجيًا، صراع بين الأمراء والسلاطين الزيانيّين على السلطة وبين الأعراش والقبائل المجاورة للمدينة حول المشاكل السياسيّة والاقتصاديّة وحول التنفيذ السياسي لدى العرش الزياني.

نشأ في أحضان عائلة علمٍ وتقوى وتصوّف، وترعرع برعاية شيخ مَغِيلة، محمّد بن أحمد بن عيسى المغِيلي، الشهير بالجَلَّاب، وحفظ القرآن عليه، وأخذ مبادئ الفقه المالكي كالرسالة، ومختصر خليل، وابن الحاجب، وابن يونس.

اعتكف على دراسة العلوم العربيّة الإسلاميّة، اللغويّة والدينيّة والعقليّة، ثمّ سافر إلى بجاية التي كانت مركزًا ثقافيًا يعجّ بالطلاب الوافدين

من كلّ جهة، فدرس على علمائها التفسير والحديث، والفقه المالكي وأصوله وعلوم العربيّة، ثمّ اتجّه إلى الجزائر، حيث مدرسة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، فأخذ عنه التفسير، والقراءات، وعلم التصوّف.

لاحظ خلال اشتغاله بالتدريس في تلمسان التعفّن السياسي الذي يسود عرش بني زيان والتفسّخ في مجتمع المدينة الزيانيّة، وتكالب القوى الأوربيّة ضدّ البلاد وموانئها ومدنها الساحليّة، ثمّ غادر تلمسان إلى السودان الغربي في أواخر السبعينيات من القرن الخامس عشر الميلادي، وقصد واحات توات، واستقرّ بعض الوقت لدى أولاد يعقوب في واحة تَمَنْطِيط، ثمّ انتقل إلى واحة "بُوعْلي الهِني".

وأسّس هناك زاويته الدينيّة التي تحمل اسمه، قال المغيلي عند دخوله توات:"دخلنا توات، فوجدناها ديّار علمٍ، ومقرّ أكابر، وأعلام فانتفعنا بهم، وانتفعوا بنا، وما ابتلينا به من محنةِ أخباث اليهود -لعنهم الله- وقد حمدنا الله -جلّ جلاله- على أنْ أهلكهم على أيدينا.

أمّا رحلاته إلى عدّة بلدان إفريقيّة، فكانت في سبيل إصلاح المجتمعات، فاتصل بعددٍ من العلماء أنذاك، ولذلك تقلّد عدّة وظائف منها: منصب قاضي الجماعة التواتيّة، فتصدّى لأخطر مسألة عرفتها المنطقة في عصره، وتباينت حولها آراء العلماء، فأفتى صراحةً بعدم جواز استحداث اليهود لهياكل دينيّة في تَمَنْطيط وتوات.

وأصبح المغيلي إمامًا للمسلمين بهذه البلاد، حيث لاحظ تمركز اليهود في المنطقة، وسيطرتهم على النشاط التجاري هناك، فاعتبر ذلك خروجًا عن ما يلزم به أهل الذمّة شرعًا، خاصة وأنّ نفوذهم كان أيضًا سياسيًا،

فاشتروا ذمّم الحكام والقضاة، درس عليه عدّة طلبة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

كان من وظائفه منصب مستشار، ثمّ رئيسًا للقضاء، والإفتاء ب"كَانُو" التي دخلها في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، واتصل بأميرها محمّد بن يعقوب، ودارت بينهما محاورات انتهت بتعيّينه مستشارًا للأمير، ثمّ رئيسًا للقضاء والإفتاء.

اشتغل المغيلي مدرّسًا، وواعظًا، ومرشدًا؛ إذ توجّه إلى شمال نيجيريا، ثمّ اتّجه إلى بلاد الهَوْسَا، واستقرّ بمدينة تِيقْدَا، حيث كانت مزدهرة بالثقافة والفنون، وتعجّ بالتجارة، فاشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد.

واشتهر علماء أُخر منهم:

- محمّد بن عيسى بن علي التلمساني: من تلمسان، من علماء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مارس التعليم في جامع تنبكتو.
- الشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي: من بشار، من قبيلة تَبَلْبالة، هو الفقيه القاضي (توفيّ بعد940هـ/1533م)، رحل إلى مراكش، وفاس للتجارة.